

## القسم الثاني

### ليس الذكر كالأنثى في السمات النفسية والعقلية

- توطئة
- سمات الأنثى النفسية والعقلية
- سمات الذكر النفسية والعقلية



## توطئة

في هذا القسم سنتناول بالحديث السمات النفسية والعقلية للجنسين ، متبعين منهج التعميم دون التخصيص ، والإيجاز دون التفصيل ؛ حتى لا نفقد موضوعنا الرئيسي وسط الإسهابات والتفريعات ؛ وحتى لا تختلط علينا الأمور الصغيرة بالكبيرة . فضلاً عن أنه من المستحيل تماماً أن نفحص كل الصفات النفسية والعقلية لنعرف ما إذا كانت من صفات الذكور أم الإناث .

وإذا كنا سننسب ، في هذا القسم ، لأحد الجنسين صفة ما ، فهذا لا يعني أننا نجرد الجنس الآخر منها . إنما نبغى فقط تقرير ما يوجد عند أحدهما أكثر مما يوجد عند الآخر .

ذلك أن الموازنة - التي نحرص عليها في هذا الكتاب - تجري على الأعم الأغلب في جميع الأحوال ، ولا شأن لها بالاستثناء الذي يأتي من حين إلى حين ، والذي لا بد منه في كل تعميم .

## سمات الأنثى النفسية والعقلية

تشير البحوث العلمية ، بل والملاحظات الفردية ، إلى أن القدرة العاطفية هي السمة الأساسية التي تتسم بها نفس حواء . ذلك أن اتجاهات حواء الفكرية والنفسية ، وسلوكياتها وردود أفعالها ، وميولها ورغباتها ، إنما تنطلق بوجه عام من المنطلق الوجداني والعاطفي .

ومن ثم لن تتمكن من فهم أبعاد هذا العالم الأثوئى الجذاب ، إذا لم ننظر لهذه السمة الجوهرية النظرة التي تتناسب معها تناسباً طردياً .

وإذا كانت المشاعر العاطفية في المرأة العادية تمثل الحالة الطبيعية بالنسبة لها ، والذي يندر أن تهجرها ، وإذا هجرتها وجدت في نفسها مقاومة باطنية تنبع

من أعماقها . إذا كان ذلك كذلك ؛ فإن المشاعر العاطفية لدى الرجل العادى لا تمثل سوى عدول مؤقت عن حالته الطبيعية .

وتتجلى عاطفة حواء ، بصفة خاصة ، عند التجارب المؤثرة ، وفى شغفها الدائم والمستمر بأنواع الممارسات التى تبعث على الإشفاق أو الخوف أو الأشمئزاز . وفى الولوع بنشوة الإثارة والمخاطرة ، حتى لو كان فى هذا ما يبعث لديها شعوراً فيه مزيج من الخوف والرجاء .

فحواء تشعر دائماً بم حاجتها الملحة للتعبير عن عواطفها الجياشة فى كافة الاتجاهات ، وعلى كل المستويات . وهذه السمة الجوهرية التى تتسم بها ، تنشأ عنها سمات أخرى ذات أهمية بالغة ، بالنسبة لحواء ذاتها ، وبالنسبة للمجال الذى تتواجد فيه .

### القدرة على التأثر بالإيحاء :

من السمات التى تتسم بها نفس حواء ، والتى تعد ذات صلة وثيقة بالعاطفة - القدرة على التأثر بالإيحاء . وهذه السمة وإن كان يتسم بها الرجال أيضاً ، إلا أن حواء تتميز بكونها تستقبل المؤثرات الإيحائية وترحب بها أكثر من الرجل .

وأعتقد أن المرء ليس بحاجة إلى تفسير مسهب حتى يظهر أن ترحيب حواء بهذه المؤثرات - يعد من الأمور الهامة بالنسبة لأحاسيسها وعواطفها ، وبالنسبة لشخصيتها وتصرفها ، ولانفعالاتها المختلفة ، تجاه البيئة المحيطة بها .

### سرعة الاستجابة للدوافع :

ومن سمات حواء أيضاً « سرعة الاستجابة للدوافع » . والدافع هنا عبارة عن مؤثر قوى يدفع الكائن الحى إلى القيام بسلوك يرمى إلى تحقيق غرض محدد . و« سرعة الاستجابة للدوافع » تتمثل فى سرعة إدراكها ، والانفعال بها ، والاستجابة لها ؛ ومن ثم اتخاذ السلوك الذى يؤدى إلى إشباعها .

ونستطيع أن نرى مثلاً واضحاً يكشف الغطاء عن « سرعة الاستجابة النسوية » في الأسلوب الذى تمتسلم به كثير من النساء لشهوة مفاجئة ، تدفعهن إلى شراء شئ ، يشاهدنه في نوافذ المحال التجارية ، دون أن يحتجن إليه ، ودون أن يكون لديهن فائض من المال ، بل قد يكون بيتها في حاجة ملحة للمبلغ الذى دفع في هذا الشئ .

### سرعة التأثير العاطفى :

وهناك سمة قريية الشبه بسرعة الاستجابة للدوافع ، وهى سرعة التأثير العاطفى ، والخضوع الواضح للمشاعر العاطفية . وحين يترك زمام الأمور لسرعة الاستجابة للدوافع ولسرعة التأثير العاطفى ، حينئذ تكون السيطرة والقلبة للمشاعر العاطفية ؛ وبالتالي نستطيع أن نلاحظ صفات نسوية متعددة ، مثل : تقلب المزاج ، تغير الطبع ، الرغبة فى التنوع .

وإذا كان تقلب المزاج من الأمور الشائعة لدى حواء ، فينبغى أن نشير إلى أن هذا الأمر ليس محصلة لطبيعتها العاطفية وحدها ، بل يرجع أيضاً إلى التغيرات المتلاحقة التى تحدث فى وظائف جسمها .

### الرغبة فى التنوع :

أما عن الرغبة فى « التنوع » فهى عبارة عن رغبة دائمة متجددة فى رؤية وسماع وتجربة أشياء جديدة مختلفة . وهذه الصفة ترجع فى أساسها إلى الطبيعة العاطفية التى تتلهف دائماً إلى مؤثرات جديدة ، خاصة تلك التى تتسم بكونها قوية وعنيفة .

ومعظم بنات حواء يقمن بحصر هذه الرغبة داخل دائرة معقولة بدافع من المنطق والإحساس بالواجب . ولكن نظراً لطبيعة المتغيرات الحضارية التى يتسم بها طابع هذا العصر ، فإن النساء اللاتى يكرهن فكرة الواجب يتزايدن باطراد ، لدرجة أن بعضهن لا يستطعن إخفاء استيائهن واشتمزازهن عندما تثار مثل هذه الفكرة أمامهن .

## الحساسية والمرونة :

ننتقل الآن إلى سمة أخرى من سمات حواء ، وهى الحساسية والمرونة . وهنا نذكر القارئ الكريم بما كتبناه عن حساسية المرأة البدنية وامتيازها أو انفرادها بذلك عن الرجل . وأرى من الأفضل أن يعاود الأخ القارئ قراءة ذلك المبحث ، ثم يتساءل معنا بعد قراءته :

هل لتلك الأمور ما يماثلها ويوازنها عقلياً ونفسياً فى الذات الأنثوية ؟

فى الواقع إن الإجابة على هذا السؤال ، قد تكون بديهية إلى حد كبير ؛ نظراً للترابط القوى الملموس بين التكوين الجسمى والوظيفى وبين التكوين النفسى والعقلى ، أو بأسلوب آخر : هناك حلقة دائمة الاتصال بين الجسم والنفس فى داخل الكيان الإنسانى ؛ فيؤثر الجسم فى النفس ، وتؤثر النفس فى الجسم دواليك .

وطالما الأمر كذلك ؛ فلا بد وأن يكون للحساسية والمرونة الجسميتين ما يماثلهما ويوازهما فى نفس وعقل المرأة . فالمرأة إذا كانت تتنابها حالات من التيقظ والنشاط ، والإحساس بالقوة والحوية ، والرغبة فى العمل ؛ فهناك فترات تحدث فيها حالات أخرى مغايرة ، يهبط فيها العقل والشعور إلى مستويات دون المستوى الطبيعى .

وتحصل الحالات الأولى فى أثناء ارتفاع الموجة وعند بلوغها الذروة ، وتحصل الحالات الأخرى المغايرة حين تبدأ الموجة فى الهبوط قبيل الحيض مباشرة ، وفى أثناء النزف نفسه ، وحين تصل الموجة إلى أدنى درجة .

فتظهر على كثير من بنات حواء مظاهر النشاط والصحة ، والمرح والابتهاج ؛ ولكن تتنابهن مشاعر الضيق والانقباض فى أثناء فترة الهبوط . وأمور مثل : العصبية ، وعدم الانسجام ، وسرعة التهيج ، والميل إلى المشاجرة لأنفه سبب ، والحساسية المرفهة ، وتغيير الهدف فجأة ، وكثرة تقلب المزاج ، والتشبث بفكرة مفاجئة غير معقولة .. مثل هذه الأمور تعتبر كلها من مظاهر التغيرات

التي تمر بها كثير من النساء ، مثل تغيرات الحيض ، مع أن هؤلاء النسوة يكن طبيعيات في غير هذه الفترات .

ويرى باحثون متعددون أن القدرة العاطفية التي تمتاز بها حواء ترجع أساساً إلى صفة « الحساسية والمرونة » ، وما أكثر الأدلة التي يستندون عليها في إثبات أن القدرة العاطفية ، والحساسية ، ومرونة التوازن العقلي ، متصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً جداً . ومن ثم يصلون إلى أن كل السمات السابقة تتداخل بعضها في بعض مثل تداخل دوائر المياه ، أو تشابك مثل تشابك أغصان الشجر الكثيف المتداني .

وبإبان فترة المراهقة تدرك المرأة حساسيتها ومرونتها اللتين تميزان جسمها وعقلها . وإذا كان هذا الشعور يبدو غامضاً أول الأمر ، فإنه يتضح بالتدرج ، ويغدو ملموساً أكثر وأكثر ، وإن لم تعترف المرأة بذلك . ويسبب هذا الإدراك لها شعوراً بالنقص أو بالضعف . وإذا لم يكن هذا الشعور لديها نتيجة تجارب الطفولة ، فيبدو أنه يتصل بحيضها الأول ، وخاصة الفترة اللاحقة له . وتلك الفترة المتجددة المتكررة تسبب لها غالباً شعوراً بالضيق ونقص الكفاءة ؛ فهي تعتبر حساسيتها ومرونتها نقصاً أو ضعفاً . وبطبيعة الحال يتفاوت هذا الشعور من امرأة إلى أخرى بشكل ملحوظ . وقد تحاول المرأة مقاومة مثل هذا الشعور ، أو القضاء عليه ، بما لها من مميزات أنثوية تجعلها محور اهتمام الرجل وعنايته .

### التماس حواء لعون الرجل وحمايته :

وشعور المرأة بأنها رقيقة ، مرنة ، شديدة الحساسية ، يؤثر فيها تأثيراً كبيراً ، لدرجة أنه يوقظ فيها الرغبة في التماس عون الرجل وحمايته .

ويمكن إجمال عوامل التماس المرأة لعون الرجل وحمايته ، بالإضافة إلى العامل سالف الذكر ، في أربعة عوامل .. هي :

العامل الأول : قدرة الرجل العاطفية أقل من نظيرتها عند المرأة ؛ ومن ثم فهو أقدر منها على الصمود ومقاومة المشاعر المؤقتة .

العامل الثانى : قدرة الرجل على التفكير والسلوك بعيدة عن دائرة تأثير كل من المرونة والحساسية الجسمية .

العامل الثالث : وظيفة العقل الأساسية فى الرجل لا تتوقف ، على عكس المرأة . بالإضافة إلى أن وظيفة العقل الثانوية التى تسيطر على المرأة تجعلها تشتهى الاتفاق والمصالحة والمهادنة ، وذلك وفقاً لفطرتها .

العامل الرابع : طبيعة الأشياء جعلت الرجل هو الذى يحمى المرأة طوال فترات التاريخ البشرى ، وهو الذى يهتم بها ، ويقوم على أمرها هى وأبنائها .

فالمرأة تعتمد على الرجل فى صيانتها ، وحمايتها ، وإعاشتها ؛ نتيجة سماتها الحسية المميزة . وهى تلتصق منه هذه الحماية وتتطلبها ، وهى تدرى أو لا تدرى . وهى ترغب فى الاعتماد عليه ؛ لأن شعورها الملهم الراق ينبئها بأن أسباب هذا الاعتماد إنما تقوم على أسس طبيعية فطرية .

### الرغبة فى الخضوع والاستسلام :

ورغبة المرأة فى الاعتماد على الرجل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالرغبة فى الخضوع والاستسلام . ولعل أقرب دليل على ذلك هو أن الملامسة الحسية تتضمن عدداً من المؤثرات القوية التى تستدعى خضوع المرأة للرجل و استسلامها له ، لدرجة أن رغبة المرأة فى الملامسة ترتبط لديها بالميل إلى الخضوع والاستسلام .

ورغبة المرأة فى الاستسلام والخضوع تنشأ من رغبتها فى القوة والسيطرة ، ولكنها تشعر بهذه الرغبة مقلوبة سلبية . وإذا كانت الرغبة فى « الخضوع والاستسلام » تناقض الرغبة فى « القوة والسيطرة » ؛ إلا أنهما تتمشيان معاً فى إحساس المرأة ، فتؤلف بينهما اضطراباً من حيث تريد أو لا تريد . لأن التناقض سمة لأبد منها فى تكوين الذات الأنثوية فى الزم لوازمها .

فهى تشتهى الخضوع والاستسلام بكل روحها وكيانها ، ولكنها تتطلع إلى القوة والسيطرة . ولا تلبث إن عاجلاً أو آجلاً ( وعادة أول الأمر ) فى الصراع لكسب القوة والسيطرة . ولكنها إذا انتصرت فقدت الشيء الذى تحتاج إليه أشد

الاحتياج ، وهو حماية الرجل وكفالته ورعايته . وفوق ذلك تكون قد فقدت أخصب مصدر لتحقيق السعادة لديها . ذلك أن أسعد ساعات المرأة عامة هي الساعة التي تظفر فيها بالرجل الذى تستكين إلى بأسه وتشعر بغلبته . ولا سعادة لها مطلقاً مع الرجل الضعيف لأنه - أولاً وقبل كل شيء - رجل غير موفور الرجولة ؛ ومن ثم لن يستطيع أن يحقق لها غرض الأنوثة الأقوى ، ولا غرض للأنوثة أقوى من الظفر بالأقوياء من الرجال .

وإذا كان من المعلوم لدينا جميعاً أن هناك ألعاباً يخسر فيها الفائز ، فالأمر هنا لا يختلف عن هذا كثيراً ؛ إذ أن المرأة التى تكسب فى مباراة الحصول على القوة والغلبة ، وتفوز بها دون زوجها ، هى فى الواقع خاسرة . ولن يستطيع الزوجان أن يربحا معاً إلا إذا تمكن الرجل وحده من السيطرة . أما إذا كسبت المرأة السيطرة ، فكلاهما سيغلو خسران . ولكن خسارة المرأة ستكون أكبر ؛ لأنها فقدت كل شيء بانتصارها ! ولن تجد شيئاً ما يعوضها عن تلك الخسارة التى أدى إليها ذلك النصر المشئوم ! وستغدو مثل هذه المرأة شاعرة بكل المشاعر البائسة نتيجة فقدانها للملاذ والسند والدعامة التى كانت تنشدها فى شريكها ، وسينبعث فى نيتها سوء الظن بذلك الرجل الذى سمح لنفسه أن ينهزم أمامها ، وسوف تحمل فى نفسها احتقاراً شديداً له !

ذلك أن المرأة تستاء أشد الامتياز من الرجل الضعيف عديم الفاعلية ، بقدر ما تعجب أشد الإعجاب بالرجل صاحب التأثير ، والقادر على اتخاذ القرار المناسب ، وعلى إبداء معالم القوة على تباين أشكاها وتنوعها من مجتمع إلى آخر ، ومن حضارة إلى أخرى .

### سمة « التقبيلة » :

ومن السمات البارزة لدى المرأة أنها ذات طبيعة « تقبيلة » ؛ فإذا كانت من الناحية الجنسية تمثل القطب السالب الذى يستقبل الحيوان المنوى ، فهى من الناحية الوجدانية تميل إلى أن تكون الموضوع المعشوق الذى يحظى بالإعجاب .

وهذا ما يفسر لنا ميلها الفطرى إلى التزين ، وإلى أن تبدو فى أوجها صورة وأبهى منظر ؛ حتى تصير موضوعاً قابلاً لأن يُعشَق ويُحَب .

وسمة « التقبلية » التى تتسم بها المرأة موجودة أيضاً فى تكوينها العقلى ؛ حيث إنها تميل إلى تقبل المعرفة ، وتأتى طبيعتها عليها أن تسلك طريقاً جديداً إيجابياً بالمعنى الكامل . والدليل على ذلك أن المستقرى لتاريخ الفلسفة والعلم لا يجد نساء فيلسوفات أو عالمات ، وإذا وُجدت من يمكن أن تلقب بالفيلسوفة أو عالمة فهذا من قبيل الاستثناء الذى لا بد منه . ومن المقرر أن الموازنة تجرى على الأغلب الأعم ، وعلى القاعدة التى تشيع وتعمم فى جميع الأحوال ، ولا عبرة بالاستثناء الذى يأتى من حين إلى حين إلا من حيث دلالة على القاعدة التى يخالفها . وإذا كان البعض سيسارع الآن بذكر اسم « ماري كورى » لكى يدلل على عكس دعوانا ؛ فإن مثل هذا الاستدلال هو أكبر دليل على ما نذهب إليه ؛ إذ أن عمل هذه السيدة لم يكن من قبيل الإبداع والاختراع ، بل كان من قبيل الكشف والتنقيب . ومهما يكن من أمر ؛ فعلى أن نتذكر أننا هنا لا نحاول المفاضلة بين الرجل والمرأة بأى وجه من الوجوه ، إنما غرضنا الأعلى هو الكشف عن سمة أنثوية أصيلة هى « سمة التقبلية » فى الناحية العقلية . والقاعدة فى هذا هى أن المرأة تتلقى المعلومات ، ويمكن أن تعقد المقارنات ، وتمتاز بذاكرة قوية ، والذاكرة سمة من سمات « التقبل » . ولعل المرء لا يخطئ إذا قرر أن النساء بصفة عامة أقوى ذاكرة من الرجال ، وأن الرجال أقدر منهن على التفلسف والاختراع والإبداع .

### سمة الخدس والإلهام :

وإذا كان الرجال يستخدمون المنطق العقلى كأداة للمعرفة ، فإن النساء بطبيعتهن يستخدمن الخدس والإلهام . والخدس عبارة عن معرفة لدية فطرية يستطيع الإنسان عن طريقها أن يدرك الحقائق بغير الطريق الحسى وبغير أعمال الفكر أو التذرع بالشواهد والدلائل والمقدمات المنطقية . إنه عبارة عن معرفة يستشف بها الإنسان الحقيقة مباشرة دون أى استخدام للبرهنة والاستدلال ، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة والإلهام .

وقد أكد علم النفس أنه من السمات الإنسانية الأكيـدة التى تساهم فى أعمال المرأة أكثر مما تساهم فى أعمال الرجل . فالمرأة فى أحلامها التى تراها فى منامها تكون أصدق مما يراه الرجل . والمرأة فى يقظتها تكون فى حالة من الشفافية تسمح لها بالمعرفة المباشرة التى لا تعتمد على الحس أو التجارب أو الاستدلالات ؛ مما يجعلها تتمتع بسمة كم هى عظيمة .

ولا شك أن انخراط المرأة فى شواغل الحياة وكدحها ، مما سيؤدى إلى طمس تلك الطبيعة الحـدية الجميلة ، وسيحرمها من سمة نفسية طالما استعانت بها عبر العصور فى تسيير شئون حياتها وحياة أبنائها وزوجها .

### سمة الاحتواء والرعاية :

تظهر سمة الاحتواء عند المرأة فسيولوجياً فى عملية الحمل ، ثم فى احتضان الطفل . كما تظهر نفسياً واجتماعياً فى احتضانها للأسرة والبيت ، وما يموج فيها من مشكلات واضطرابات . وترتبط هذه السمة الاحتوائية بسمة أخرى ، هى سمة الرعاية الشعورية واللاشعورية ؛ حيث إن المرأة تقوم برعاية كل من فى حوزتها : بدءاً من الجنين فى بطنها ، وانتهاء بزوجها . وإحساسها بواجب رعاية زوجها شبيه - بوجه من الوجوه - بإحساسها بواجب رعاية طفلها ؛ إذ أنها تميل إلى رعايته ، والاهتمام به ، والقيام على شئونه ، وسد مطالبه ، وتلبية رغباته . وإذا ما تصاعد الحب بينها وبين زوجها ، فإن هذا الميل إلى الرعاية يزداد باطراد ، حتى يصل إلى مرحلة لا يكون فيها فرق كبير بين رعاية المرأة لزوجها وبين رعايتها لأبنائها .

### الأمومة :

الأمومة هى الوظيفة المحورية التى تتمركز حولها كل حياة الأنثى من مطلع الصبا إلى الشيخوخة . وهى غريزة فطرية ومنبع خصب تستمد منه المرأة كل قواها الدافعة وطاقتها الإبداعية . وليست الأمومة مجرد حمل تنوء به المرأة ، بل هى أدواتها إلى تحقيق تكاملها النفسى واتزانها الوجدانى اللازمين لبلوغ السعادة .

والأمومة أمر تكتنفه المصاعب والمشكلات ، بيد أنها تعبر عن تلك التجربة الحسية التى تستطيع المرأة من خلالها أن تحقق رسالتها التى تجد فيها قوة كبرى . وفى الوقت الذى تدرك فيه المرأة أنها قد أدت مهمتها تلك على أكمل وجه ، فإنها تدرك تماماً أنها حققت ذاتها أولاً وقبل كل شيء .

ونحن إذ نذهب إلى أن القدرة العاطفية هى السمة الأساسية التى تتميز بها نفس حواء ، فنحن نعنى بذلك القدرة العاطفية التى تعد الوجه الآخر للأمومة . فالأمومة أو العاطفة - ولا فرق - أمر قد خلقت المرأة متطبعة به متجهة إليه .

ومن الأقوال التى تدل دلالة عميقة على أهمية الأمومة بالنسبة للمرأة - قول شاعر بولندى : « إن قلوب النساء كخلايا النحل ، إن لم يملأها شهد المحبة والحنان الأموى - استحالت سريعاً إلى أوكار للأفاعى ! » . بيد أن هذا الشاعر قد فاته شيء هلم ، وهو أن الأمومة يستحيل أن تمحى تماماً من كيان المرأة .

وترى « هيلين دويتش » أن « حب الأم » ليس غريزة ، بل هو عاطفة أو حالة وجدانية ؛ فليس « حب الأم » مرتبطاً بالضرورة بالحمل ، بل قد يكون فى استطاعة المرأة أن تبدى « عاطفة الأمومة » نحو طفل قد تبنته ، أو نحو أبناء الزوج الذين أنجبهم من فراش الزوجية الأول . وليس غريباً أن نجد بين النساء من تتجه بحاجتها الطبيعية إلى الأمومة نحو موضوعات أخرى غير أبنائها ؛ فنراها تعطف على أبناء الآخرين ، أو تبدى حنان الأمومة نحو طائفة من البالغين . ومثل هؤلاء النساء قد يحترفن فى العادة أعمالاً تسمح لهن بالحصول على منافذ لإرضاء تلك المشاعر العاطفية المرتبطة بالأمومة . وحينما تتخلى المرأة عن مستقبلها ، فتقلع عن رغبتها فى الزواج وإنجاب النسل ، لكى تعين غيرها من الأمهات ، وتكرس نفسها لخدمة أبنائهن ، مضحية بكل مصالحها ومشاعرها الأنانية - فإنها بذلك تتخذ لنفسها موقف « الأم الحزينة » ، التى تحاول أن تشبع عاطفة الأمومة لديها بطريقة شاذة منحرفة . وهناك حالات أخرى قد تعتمد فيها بعض النساء على إرضاء حاجتهن إلى الأمومة بطرق زائفة ملتوية نظراً لشعورهن بالخوف من المعاشرات الجنسية . ومثل هذه الحالات الشاذة ما هى إلا أدلة تدلنا على مدى أهمية « الأمومة » فى حياة المرأة ، على الرغم من مزاعم بعض دعاة الحرية

النسوية ! إن الطفلة الصغيرة التى ترعى دميها وعرائسها الصغيرة ، أو تهز أحباها الأصغر بين يديها وترعاه وتفسل جسمه وتساعدته على ارتداء ملابسه - تعبر تعبيراً واضحاً عن غريزة الأمومة ودون تأثر ممن يشرفون على تربيتها . وهى تعبر عن هذه الغريزة الفطرية عندما تلعب لعبة « الأم » ، أو تمارس أى لون من ألوان النشاط التى تقوم بها النساء الناضجات إذا كن محرومات من عاطفة الأمومة . وقد يقال : إن لعب البنت لعبة الأم ، أو تظاهرها بمظاهر المعلمة أو المريضة أو الممرضة - ينطوى على رغبة فى القوة والسيطرة . ولكن هذه الرغبة لا تعدو تعبيراً عن رغبة الأم فى القوة والسيطرة على أبنائها ؛ إذ أن غريزة الأمومة هى السمة الجوهرية التى تتسم بها مثل هذه السلوكيات ، التى بها ترضى البنت رغبتها فى رعاية من يحتاجون إلى رعاية وعطف وحنان الأم . وفى مقابل ذلك تحوز وفاءهم وحبهم وإخلاصهم .

### المأساة الأنثوية المزعومة :

ويذهب البعض إلى أن سمات المرأة تمثل مأساة بيولوجية وسيكولوجية . ولكن الحقيقة المطابقة للواقع المتعدد الجوانب تنبئنا أن مثل هذا المذهب يتمتع بنصيب كبير من الزيف والاعوجاج ؛ لأن الحقائق الحيوية الخاصة بحياة المرأة لا يمكن بأى حال أن تكون مواد المأساة المزعومة ، وليس هناك أسباب أو دوافع كافية تسمح لنا بالنظر إليها نظرة محزنة أو ذات إشفاق . فأساس المأساة المزعومة ليس له وجود واقعى ؛ ومن ثم فالمأساة نفسها لا وجود لها .

وإذا كانت المرأة لديها من المشاغل والمتاعب والأخطار ما يجعلها تشقى بعض الشقاء ، فإن لديها من إمكانيات السعادة وفرص التفوق ما يعادل ذلك ويكافئه . ومن الخطأ تماماً أن ننظر إليها نظرة إشفاق أو عطف أو رثاء ، وخطأ أكبر منه أن نجعلها تعتقد بأنها موضع لمثل هذه النظرات أو ما يشابهها . فقد نشأت سلبيات وأضرار عظيمة نتيجة لإشعار المرأة دوماً بأنها موضع إشفاق أو عطف . ولذا فعلينا أن نراجع أنفسنا كثيراً حتى يمكننا رد الأمور إلى نصابها الصحيح . ويجب أن نتذكر دائماً أن نقص المرأة النسبى يقابله تفوق ملحوظ فى

جوانب أخرى عديدة ؛ فنقص وظائف عقلها الأساسية يقابله تفوق في وظائفه الثانوية ، ونقصان قدرتها على التفكير المنطقي يقابله عظم قدرتها على التفكير الحدسي والإلهام ، وضعفها الحسي الناتج عن رقتها ومرونتها وشدة حساسيتها يقابله تفوق وسمو في مظاهر الأنوثة ومتطلبات الأمومة .

ثم كيف لنا أن ننظر إلى هذه الجوانب على أنها جوانب نقص ؟! إن نظرة من هذا القبيل لى دليل على قصور واضح في أساليب التفكير ؛ لأن هذه الجوانب المعنية ، في نظري أنا شخصياً ، تمثل أموراً هامة لا بد من توافرها حتى تصبح المرأة امرأة ، حتى تصبح امرأة تكمل وتتمم الرجل ؛ حتى تصبح منحنيات المرأة تقابل تنوعات الرجل كأنها مخلوقة على ( قدها ) لتتداخل معها وتستقر فيها ؛ حتى يصبح كل تجويف في المرأة يقابله بروز في الرجل ، وكل تجويف في الرجل يقابله بروز في المرأة . ومن التحام القسمين المتقابلين تنشأ « تعشيقية » مترابطة متناسقة ، يتألف منها مخلوق متكامل متمازج .

\* \* \*

## سمات الذكر النفسية والعقلية

يكن شيء من الطموح عادة في تفكير الرجل وسلوكياته . ولذا فهو يحتاج دائماً إلى تنمية قدراته وإمكانياته التي تحقق له الفوز والانتصار .

وتتجلى سمة « الطموح » عند الرجل في الرغبة المتزايدة في القوة ، والسيطرة ، والكمال بوجه عام .

ويزداد انغماس الرجل في هذا الاتجاه نتيجة لصراع البقاء الذي فرضته عليه الطبيعة ، والصراع هنا ليس من أجل وجود الرجل وحده ، بل من أجل وجود امرأته وأبنائه وعشيرته .

لقد فرضَ صراع البقاء على الرجل فرضاً مطرداً منذ قديم الزمن في كل أرجاء المعمورة . وكلما ازداد انشغاله برعاية وحماية أسرته وعشيرته ازدادت صعوبة هذا الصراع والتحدى . وهذا الأمر ليس مقصوراً على الحضارات السالفة فحسب ، بل هو ينطبق أيضاً على حضارتنا المعاصرة وإن اختلفت طبيعة التحدى والصراع نتيجة للمتغيرات الجديدة التي تمتاز بها حضارتنا .

إذا وضعنا كل هذا في اعتبارنا لتبين لنا أن على الرجل أن ينفق الشطر الأكبر من حياته من أجل تحسين صفاته الذكورية ، والبلوغ بها مبلغاً يتيسر معه التخفيف من حدة هذا الصراع . وليس هذا لأسباب ذاتية فحسب ، بل لأسباب موضوعية خارجية أيضاً .

وتتباين طبيعة الصراع والتحدى من مجتمع إلى مجتمع ، ومن حضارة إلى أخرى .. ففي المجتمع البدائي يلجأ الرجل إلى قوته الجسدية والعظلية في مقاومة الأعداء والحيوانات المفترسة ، وفي الصمود أمام قوى الطبيعة وقهرها . وفي مجتمع « الكاوبويز » يلجأ الرجل إلى المسدس وسيلة للتعبير عن الذات ، دفاعاً وعدواناً ؛ وعلى قدر سرعة تناوله للمسدس وإطلاقه تكون بطولته وعظمته . ويوجد المسدسان دائماً على جانبي وسطه ، يتباهى بهما ويسير مختلاً فخوراً ، ويده

قريتان منهما ، مستعداً لأن يتناولهما في مثل ملح البصر ليطلقهما يمينه ويسرة ضد أى عدو أو متحد . وفي مجتمع ثالث توجد مظاهر أخرى مختلفة عن هذا وذاك . وكلما تغير الإنسان وبيئته انقلبت وتعذلت طبيعة التحدى بشكل ظاهر .

وحين يتنافس المثقفون في حضارتنا المعاصرة على بلوغ مدارج الكمال ، فإنهم يجعلون قوام منافستهم الصفات العقلية أساساً . ويقوم صراع البقاء بينهم بأكمله على أسلحة العقل . ولن يمكن لأحدهم بلوغ القوة الحقيقية أو المحافظة عليها إلا بقوة التفكير والمنطق فحسب . والأدلة على ذلك يستطيع المرء أن يراها في كل مكان ، ويلاحظها بشكل ملموس واضح كل يوم .

ورغبة الرجل في بلوغ الكمال ، تدفعه إلى الانتفاع بكل قدراته العقلية ، وإلى تركيز أفكاره في الهدف المنشود . وهذه الرغبة قد تدفعه إلى الأمام في الحياة ، وقد تتلف فرص نجاحه إتلافاً شديداً إذا لم يتحكم فيها تحكماً مناسباً .

وهذه الرغبة في الكمال تؤدي حتماً إلى درجة من الأثرة أو تركيز الاهتمام بالذات . وهذا التركيز يفيد أعظم الفائدة في صراع البقاء . وإذا لم يستفد الرجل بهذه السمة في بلوغ هدفه المختار ، فإنه ينحرف عن الطريق السوى . والرجل الحقيقي هو الذى لا يكتفى دائماً بالنتائج الذى يصل إليها ، بل يرغب في تحقيق نتائج أفضل باستمرار .

وهذه السمات الرجولية لا يكتسبها المرء نتيجة لنموه وتطوره فحسب ، بل يمكن ملاحظتها في الأطفال الذكور قبل أن تؤثر فيهم التربية أى تأثير بعد ؛ ذلك أننا نلاحظ الولد يشتهى أن يمسك مسدساً أو سيفاً ، ويتشوق للقتال ، لقياس قوته بالنسبة لقوة غيره . ويصور له الطموح أن يكون قائداً ، أو ضابطاً ، أو سائق سيارة ، أو طياراً ، أو يتولى منصباً يتيح له القوة والسيطرة على غيره . ويراقب كيف تلعب لعبته ، ويحاول أن يفكها ويتعرف على أسلوب عملها ومكوناتها ؛ لأنه يرغب في الإنتاج والابتكار .

وإذا كنا في معرض تناولنا لسمات المرأة النفسية والعقلية ذكرنا أن النساء يمتازن تفكيرهن بالحدس والإلهام ، فإننا نذكر هنا في مقابل ذلك أن الرجال يتميز

تفكيرهم بالمنطقية والاستدلال ؛ فطريقة التفكير في حل المسائل ومواجهة المشكلات لدى الرجال تختلف عنها لدى النساء ؛ لأن الرجال يستخدمون خلايا دماغية مختلفة عن خلايا النساء في عملية التفكير . وتكوين الأنسجة الدماغية لدى الرجال قد يساعدهم في الوصول إلى إدراك ذهني - مكافئ يفسر تفوقهم الملحوظ في علم الرياضيات مثلاً . أما الأنسجة الدماغية لدى النساء فتساعدهن على الإدراك اللفظي مما يفسر سهولة تعلمهن اللغات .

ويتميز عقل الرجال الممتازين ، بصفة عامة ، بالسماة الآتية :

### أولاً : التفكير المنطقي المنظم في حل المشاكل :

ويحدث إذا صادف المرء مشكلة ما . ويمكن بيان الخطوات المتبعة في مثل هذا النوع من التفكير في النقاط الآتية :

- ١ - الشعور بالمشكلة .
- ٢ - تحديد المشكلة .
- ٣ - فرض الفروض التي تصلح كتخمينات محتملة لحل المشكلة .
- ٤ - اختبار هذه الحلول المحتملة عن طريق القيام بملاحظات أو تجارب .
- ٥ - التوصل إلى الحلول .

فالعالم في الكيمياء أو الطبيعة ، مثلاً ، تواجهه مشكلة تفسير ظاهرة معينة ، فيبدأ بتحديد المشكلة التي يريد تفسيرها ، ثم يفترض فروضاً مختلفة لتفسيرها ، ويبدأ في معمله يجرب كل فرض من هذه الفروض ، وذلك حتى يتوصل إلى تفسير مقبول للظاهرة ، ثم يضع قاعدة أو قانوناً يستطيع أن يطبقه على الحالات المماثلة .

### ثانياً : التفكير الإبداعي الابتكاري :

لقد تطورت البشرية ، في جانب كبير منها ، بتقديم الاختراعات التي هي نتاج لتفكير الرجل . ووهنا إلى جانب معرفة خطوات التفكير أن نعرف كيف يفكر العلماء حين توصلوا إلى اختراعاتهم . وقد توصل علماء النفس إلى معرفة بذلك بدراسة ما ذكره العلماء عن أنفسهم وطريقتهم في التفكير الابتكاري .

وقد حلل « ولاس » التفكير الابتكارى فى أربع مراحل :

١ - الإعداد .

٢ - الحضانة .

٣ - الإلهام .

٤ - التحقيق .

فالعالم أو المفكر يحصل - فى مرحلة الإعداد - على معلومات ومهارات فى ميدانه . وفى مرحلة الحضانة يتحرر فكره من الأخطاء التى عقلت به ، وتفكك عناصر المشكلة ، مما يؤدى إلى ظهور علاقات جديدة بينها لم تكن واضحة من قبل . ثم فى مرحلة الإلهام يدرك العقل العلاقات الجديدة بين عناصر المشكلة ، فينب الحل الصحيح إلى الذهن فجأة . ثم فى مرحلة التحقيق ، يحاول العالم بيان صحة الحل الذى وصل إليه بوضعه موضع الاختبار .

### ثالثاً : القدرة على التركيز العقلى ومواصلته تجاه هدف محدد :

لاحظ العلماء أن القدرة على التركيز لفترة زمنية طويلة تجاه هدف محدد ، تعد إحدى القدرات الأساسية ، التى يتشكل من خلالها السلوك الإبداعي ؛ ومن ثم فإن هذه السمة وثيقة الارتباط بالسمة المذكورة قبلها فى البند السابق .

ذلك أن العالم المبدع ، يبدو أنه يمتاز بالقدرة على تركيز انتباهه وتفكيره فى مشكلة معينة زمناً طويلاً جداً . وهذا مما يتفق مع ملاحظة « ماير » ومؤداها : أن من بين السمات الهامة التى تمتاز بها عادات العمل عند الأطفال والراشدين النابغين : التركيز على العمل الذى هم بصددده لفترات زمنية طويلة . وكذلك ذكر « فرتيهمر » عن « أينشتين » أنه ظل معنياً بمشكلته العلمية الرئيسية لمدة سبع سنوات متواصلة . ذلك على الرغم من أن المشكلة قد تتغير قليلاً أو كثيراً فى مضمونها ، لكن المبدع يظل مواصلاً لاتجاه معين .

وقد يؤدى الإفراط فى هذه السمات إلى تعطيل وظائف العقل الثانوية ، أى أن اللاشعور يتعطل بسبب الشعور .

والوظائف الثانوية للعقل هامة جداً ، ولا يمكن الاستغناء عنها في تحقيق أى عمل عقلى ممتاز . ومع ذلك ، فمن الواضح أن هذه الوظائف الثانوية يجب التحكم فيها بالتفكير الأولى الشعورى حتى تصل إلى الدرجة المطلوبة من الدقة والاتقان .

ويجب أن نتنبه إلى أن السمات العقلية سالفه الذكر تنتمى إلى الرجل أكثر مما تنتمى إلى المرأة ، كما أن الإلهام والحُدى ينتميان إلى المرأة أكثر مما ينتميان إلى الرجل .

كما يجب علينا أن نتذكر دائماً فى هذا الكتاب أن المسألة ليست مطلقاً مفاضلة بين الجنسين ، إنما هى فقط بيان وجوه الاختلاف والتباين بينهما ، وبيان أن لكل منهما قيمة متساوية ، ولو أن قيمة كل منهما من نوع مختلف . وأنا أذكر هذا الكلام ، لكى أتمكن قدر الطاقة من تجنب الغضب الذى قد يديه البعض عند استعراض نتائج الأبحاث العلمية التى تؤيد نظرية التباين بين الجنسين .

• • •